كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

المرحلة : الثالثة

استاذ المادة : وليد سامي خليل سبع

اسم المادة باللغة العربية : أدب العصور المتأخرة

اسم المادة باللغة الانكليزية: Literature of late times

اسم المحاضرة الرابعة باللغة العربية : الفخر والحماسة

اسم المحاضرة الرابعة باللغة الانكليزية: Pride and enthusiasm

-الفخر والحماسة

وهما اللذان قيلا زمن المعارك التي دارت بين المسلمين والتتر وبينالمسلمين والصليبيين،او بين الاسرالحاكمة آنذاك،مثل قولصفي الدين الحلي حينما قتل خاله وأخذ بثأره :

سل الرماح العوالي عن معالينا واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

انا لقوم ابت اخلاقنا شـــــرف ان نبتدي بالأذى من ليس يؤذيـــــــنا

بيض صنائعنا سود وقائعـنـــا خضر مرابعنا حمر مواضيـــــــــنا

لايظهر العجز منا دون نيل منى ولو رأينا المنـــايا في امانيـــــــنا

- الخلاعة والمجون-

اقبل على نظمه فريق من الشعراء، فارقوا ستر العفاف،وسادوا في درب الغواية والرذيلة،من هؤلاء الشعراء علي بن عبد العزيز البغدادي (ت684هـ)،وشرف الدين بن اسد(ت738هـ).

-الزهد والتصوف

كان هذا الغرض رائجاً وقد فزع الشعراء الى رحابه ليكشف الله عنهم الكرب والبلاء مثل قول عماد الدين بن الحسن البغدادي المعمار (ت712هـ)

توكل على الله جل اسمه ولا ترجون سواه تعـالى

فكل امرئ يرتجي غيره لكشف الملمات فهو محالا

-شعر الحكمة

ويدعوا فيه الشعراء الى الاخلاق النبيلة لذا فإن معانيهم تدور في فلك الفضيلة مثل قول عز الدين بن كمونة البغدادي(ت683هـ)

صن العلم عن اهل الجهالة دائما ولا توله من لا يكون له اهـلا

فيورثه كبرا وومقتاً وشـــــرة ويقلبه النقصان من عقله جهلا

هو بذلك يكون اقرب الى النظم التعليمي ،وقلما يطول نفس الشاعر1، وهو قليل الحظ في الجمال الفني والصياغة الجيدة2

-شعر الاحاجي والالغاز-

وهو من الاغراض التي اتخذها الشعراء وسيلة للتسلية والتلهية والرياضة الذهنية مثل قول احمد بن عبد المالك العزازي(ت710هـ) في القوس والنشاب:

قد علا جسمها صغار ولم تش ك سقاماً ولا عراها هزال

ولها من البنين سهم وقســم وبنوها كبار قدر نبـــــال

وبنوها لم يشبهوها ففي الام اعوجاج وفي البنين اعتدال

ويمكن ان نلخص ما لاحظناه في دراستنا لشعر هذا العصر بالاتي:

*يتراود شعر هذا العصر بين مستويين متناقضين احدهما -وهو قليل- رصين حافظ على الصناعة القديمة وراعي مقوماتها واصولها وثانيهما وهو الكثير ضعيف ظهرت فيه هلهلة البناء والتراكيب وافتقر الى الابداع والابتكار وان هؤلاء الشعراء لم يكونوا بالدرجة الكافية من المستوى اللغوي والادبي الذي كان عليه شعراء العصر العباسي امثال بشار بن برد و ابي نوأس والبحتري والمتنبي و الشريف الرضي **لذا سوف نتناول اهم الملاحظات التياختص بها هذا العصر.**

***ضعف الاسلوب وخمود العاطفة** حتى بدت ابيات بعضهم وكأنها حديث عادي من حديث العامة والشحاذين،مثال ذلك قول البويصيري من قصيدة رفعها الى الوزير بهاء الدين علي بن محمد بن سليم

اليك اشكوا حالنا اننـــــــا عائلة في غاية الكـــــــثرة

احدث المولى الحديث الذي جرى معهم بالخيط والابـرة

صاموا مع الناس ولكنـهم صاروا لمن ابصرهم عبـرة

ضعف الالفاظ والتراكيب وقد جاء ذلك من عجزهم عن التصرف في اللغة تصرف المالك لزمامها لذلك اخفى بعضهم هذا الضعف بثوب الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية. فاستخدموا التورية وادعوا انهم اول من تنبه اليها والى روعتها من ذلك قول سراج الدين الوراق(ت695هـ) في رجل اسمه عرفات:

اطنبوا في عرفات فغدوا يتعاطون له حسن الصفـات

ثم قالوا لي:هل وافقتنـا قلت:عندي وقفة في عرفات

ومنهم من استخدم الجناس المتكلف المثقل كقول شهاب الدين التلعفري (ت675هـ)

انت خال مما يقاسيه قلبي من غرير له على الخد خال

كلما عز زاد ذلي وحالت لي فيه مع الزمان الحـــــال

واعجب الصفدي ببيتين للشاب الظريف (ت688هـ) فيهما تلاعب بالجناس

يا بأبي معاطف واعين يصول منها رامح ونابل

فهذه ذوابل نواضـــــر وهذه نواظر ذوابـــــل

قال: هذا من اعلى طبقات هذا النوع لأنه رد العجز على الصدر بألفاظه مع اختلاف المعنى.

--من الكناية :قول شمس الدين الكوفي(ت675هـ)

اسكنته ربع الغرام فياله من ساكن لايستطيع حراكاً

ومنهم من امعن في الصنعة والاغراق في التلاعب بالكلمات مستخدمين الفاظاً محضرة مثل ذلك قول ابن حجة الحموي (837هـ)

طريفي من ليلات الهجير مقيريح الجفين من السهـير

نوري الخديد كوى قليـبي فصحت من الحريق ابا نويري

ان ابن حجة الحموي اتعب نفسه وكد ذهنه في ايجاد كلمات تلائم الوزن والقافية ولكن اراد ان يبين حذقه في التلاعب اللفظي ولكن نلاحظ ان هذه الابيات تخلو من الحس الشعري.

*التجأ بعضهم الى القرآن الكريم في اقتباس من آياته ليضفي على شعره هالة من الحسن والبهاء والرفعة كقول ابن نباتة المصري(768هـ)

أجل نظراً في حاجبيه وحسنه ترالسحرمنه(قاب قوسين او ادنى)

فالعبارة الاخيرة مقتبسة من الآية الكريمة التي وصفت رحلةالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)في حادثة الاسراء والمعراج،وماوصل اليه من التكريم والتعظيم. ولكن هذا الامر يبعد عن مناسبة الآيات وفكرتها،ولا يليق بمقام الله و رسوله ان تعقد الموازنات بهذا الشكل عن طبيعة الاشياء و أقدارها.

*ومنهم من اقتبس من الحديث النبوي الشريف مثل قول شهاب الدين التلعفري مستخدماً مصطلحات في الحديث الشريف:

ولا برح الصبا يروي صحيحاً حديث رياضها،وبها اعتلال

فقوله(يروي صحيحاً)يشير الى رواية الحديث الصحيح وقوله(بها اعتلال) اشارة الى العلم الذي عرف بعلل الحديث التي تعنى بدراسة الحديث واوجه صحته اوضعفه وكيفية التثبت منه بالطرق الصحيحة.

*ومنهم من ولع بالاقتباس من الامثال،وقال الصفدي معلقاً على مثل مشهور(سبق السيف العذل)فقد استعمله الشعراء كثيراً منهم السراج الوراق (ت695هـ).

ياعذولي كف عني سبق السيف العذل

*وكذلك ومنهم من ضمن قصائده مقاطع وابيات لشعراء سابقين وقد اشار الى ذلك الشاعر مجير الدين بن تميم بقوله:

اضمن كل بيت فيه معنى فشعري نصفه من شعر غيري

-من افتتان الشعراء بالتضمين نسم قول صلاح الدين الصفدي(ت764هـ) يخاطب ابن نباته المصري:

أفي كل يوم منك عتب يسوؤني (كجلمود صخر حطه السيل من عل)

وترمي على طول المدى متجنباً (بسهميك في اعشار قلب مقتـــــــل)

فأجابه ابن نباته بقوله:-

فطمت ولائي ثم اقبل عـــــانياً (أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل)

بروحي الفاظ تعرض عتــبـها (تعرض اثناء الوشاح المفصـل)

فهاتان الصورتان الشعريتان تنطقان عن التكلف المقيت في التضمين وألصنعة اللفظية التي اضفت على الابيات ثقلا ومجافاة للطبع والذوق الادبي الى جانب الاختلال الواضح في المعنى،وعجز الشاعرين عن تحقيق التوازن بين الافكار التي يعالجانها ويعبران عنها.

وقد ضمن الشعراء اشعارهم الوان اخرى من البديع مثل الجناس الغريب والملفق والقصيدة المعجمة،والحروف الموصولة والمقطعة،والى جانب ذلك فقد عرض الشعر في العصور المتأخرة اشكالاً مستحدثة كالتاريخ، والتشجير،وذوات القوافي، ومحبوك الطرفين، والشعرالهندسي وغير ذلك من الاغراض الجديدة المستحدثة في هذا العصر.